تاريخ الاستلام: 2020/04/10 تاريخ القبول: 2020/08/15

أزمة الخطاب النقدي الجزائري المعاصر (الأسباب والإشكاليات والحلول)

The crisis of contemporary Algerian critical discourse (causes, problems and solutions)

موسى بن حداد*

Ahmedzaglole@gmail.com

جامعة باتنة

(الجزائر)

ملخص: سنحاول في هذا المقال الوقوف على الأسباب والإشكاليات التي جعلت النقد الجزائري يمر بهذه الظروف التي يزداد تأثيرها يوماً بعد يوم، من خلال الإجابة عن التساؤلات الآتية: هل يمر النقد الجزائري بأزمة من نوع ما؟ ما طبيعتها؟ وما هي الأسباب التي تقف وراء ذلك؟ وما الإشكاليات التي تثيرها؟ ثم ما هي الحلول المتوخاة للخروج من هذه الأزمة؟

من الضروري التركيز على ما عندنا بدل السعي وراء ما عند الآخرين والذي في غالبه لا يناسبهم هم فما بالنا نحن، لأن العقلية الغربية مادية متقلبة ومزاجية بطبعها.

الكلمات المفتاحية: الخطاب النقدي الجزائري، الأزمة، الأسباب، القضايا، الحلول، التشخيص، الراهن.

Abstract:

In this article, we will try to examine the causes and problems that caused Algerian criticism to pass through these circumstances, whose impact is increasing day by day, by answering the following questions: Does Algerian criticism go through a crisis of some kind? What is its nature? What are the reasons behind this? What are the problems that raise it? Then what are the solutions for getting out of this crisis?

It is necessary to focus on what we have, instead of seeking what others have, which most of them do not suit them, so what do we have, because the Western mentality is materialistic, volatile and temperamentous in nature.

Keywords: Algerian critical discourse, crisis, causes, issues, solutions, diagnosis, current status.

* المؤلف المرسل

. مقدمة:

لاشك أن تبني أفكار وطروحات الحداثة الغربية قد أوقع الخطاب العربي النقدي في أزمة متعددة الأوجه، والمتتبع للساحة النقدية الأدبية العربية عامة والجزائرية خاصة سيلاحظ حجم الأزمة التي تعصف بهذا المجال الحساس على اختلاف مسببات هذه الأزمة، وما تخلفه من إشكالات خطيرة (تنظيراً وتطبيقا وتمثلاً ووعياً) توحي بما آل إليه راهن هذا النقد دون وجود تشخيص للمسببات، وإيجاد الحلول وهو يؤثر سلبًا على الوعي التحليلي لدى الناقد والقارئ المبتدئ على حد سواء.

ورغم انقسام الدارسين والنقاد إلى اتجاهات، ومحاولة كل منها لعب دور المنقذ الذي يخلص النقد من ربقة أزمته، إلا أنه لم يتغير شيء، ويمكننا القول حتى الملتقيات التي تقام في هذا الصدد لا تعدو أن تكون نمطية في طروحاتها ولا يتعدى دورها الاجترار، وبقي النقد يعاني من جملة لا تنتهي من القضايا الإشكالية، فالدارس على اختلاف مشاربه وتكوينه الفكري والمعرفي يقف عاجزا أمام فوضى المصطلح والمفهوم والآليات، ما ساهم في تعميق خطورة هذا الوضع، وإذا لم نتصد لذلك، بتقديم حلول جذرية وعميقة وبناءة للنهوض بهذا النشاط من كبوته والدفع به نحو آفاق أكثر ازدهارا، فسوف نشهد مستوى آخر مشفوع بالرداءة والانحطاط والركود.

ونحن في هذه المداخلة سنحاول الوقوف على الأسباب والإشكاليات التي جعلت نقدنا العربي عامة والجزائري خاصة يمر بهذه الظروف التي يزداد تأثيرها يوماً بعد يوم، من خلال مجموعة من الإشكاليات مفادها، هل يمر النقد الجزائري بأزمة من نوع ما؟ ما طبيعتها؟ وما هي الأسباب التي تقف وراء ذلك؟ وما الإشكاليات التي تثيرها؟ ثم ما هي الحلول المتوخاة للخروج من هذه الأزمة؟

1. الواقع النقدي الجزائري المعاصر:

إن المتتبع للوضع الأدبي في الجزائر، لا شك سيقف على كثرة الحديث عن الأزمة التي يتخبط فيها الخطاب النقدي الجزائري الحديث والمعاصر، ولا شك أن أزمة النقد الجزائري جزء من أزمة النقد العربي عامة، وعلى هذا أفردت الدراسات والبحوث، وأقيمت الملتقيات التي تتناول هذه الأزمة وتحاول أن تشخصن مسبباتها وإشكالياتها كما تحاول في المقابل أن تقدم بعض الحلول لهذه المسألة الشائكة التي استهلكت الكثير من الجهد والوقت دون طائل.

ولا شك أن أزمة النقد الجزائري هي جزء من أزمة الوعي الفكري والثقافي المحلي والعربي عامة، ثم إن هذه الأزمة في ذاتها تتفرع إلى أزمات جزئية معقدة من قبيل: (أزمة التنظير، أزمة التطبيق، أزمة المصطلح، أزمة المفهوم، أزمة الوعي، أزمة القراءة، أزمة الفهم، أزمة الكتابة...)، وهي مسائل لم يحسم فيها لحد الساعة وأسباب ذلك متعددة.

ولاشك أيضًا أن قيام النقاد بترجمة ونقل المناهج والنظريات الغربية الغريبة كليا عن الثقافة العربية ومحاولتهم التعريف بها تنظيرًا وتطبيقًا وهم منبهرون بها غاية الانبهار دون وعي تام أو معرفة خالصة بها، بل إن قيام الكثير منهم بترجمة مؤلفات تتناول هذه المناهج عند روادها دون تمحيص أو ربطها بجانبيها: الفسلفي والفكري واللذين لا يناسبان التفكير الأدبي والعقلية العربية، أدى إلى الكثير من الخلط، وسوء الفهم لدى الطالب والباحث المبتدئ بل حتى لدى الناقد المتمرس، حيث يقفون أمام هذا الركام الهائل من المصطلحات والمفاهيم المنجزة حول مصطلح واحد، حائرين عاجزين بأيها يأخذون وأيها يعتمدون.

إن هذا اللهاث وراء النتاج الغربي أوقعنا في حالة سبات فكري ونقدي بحيث أدت جهود هؤلاء النقاد والدارسين إلى إنتاج نسخ مقلدة ومشوهة عن النقد الغربي، فلا هو غربي خالص ولا هو يمت بصلة للعربية في شيء سوى اللغة التي كتب بها، فصرنا مذ ذاك نعاني من التبعية السلبية للغرب فكرًا ونقدًا تحت مظلة الانفتاح المعولم، واللحاق بركب التطور، وكأن الرقي لا يتحقق إلا من خلال السعي وراء كل ما يقدمه الغرب مهما كان حتى وإن كان مرفوضًا عندهم فهو مبجل عندنا، أما عن أسباب هذه الأزمة، فهي كثيرة -نحاول أن نعدد بعضها في عجالة- نرى أنها الأكثر قربًا من صميم الاحتقان النقدي المأزوم بشكل يهدد بنسف وجود ما يسمى بالنقد الجزائري. ومن بين هذه النقاط ما يلي:

- الممارسة التطبيقية في النقد الجزائري المعاصر محبوسة ورهينة لما يشبه الإسقاط العمودي لتلك النظريات على النص العربي دون الأخذ بعين الاعتبار في كثير من الحالات خصوصية هذا النص التي تختلف تمام الاختلاف عن النص الغربي الذي صيغت منه تلك النظريات"[1].

- إخضاع العديد من النقاد النصوص لمقاسات المناهج فيأخذون ما يرونه مناسبا ويتركون غيره وحتى ضمن المنهج الواحد تراهم يطبقون بعض آلياته لا كلها. وهذا بطبيعة الحال لن يعطي مقاربة صحيحة وشاملة أو ذات جدوى، فهؤلاء لا ينظرون إلى النص؛ أي المناهج أنسب لطبيعته، وبالتالي، يكون التعامل معه وفق ذلك، وهذا ما يجعل نتائجهم جزئية وبعيدة عن محيط النص في كثير من الأحيان.

- ليس هناك منهج واحد شامل وكامل يستطيع مقاربة جميع النصوص والتعامل مع منطق التعدد النصي، لذا وجب مراعاة طبيعة النص وفي الوقت ذاته الابتعاد عن محاولة فرض المنهج الغير مناسب.

- استصعاب الطلبة وحتى بعض الباحثين للمناهج النقدية وصعوبة وعي المفاهيم النظرية لهذه المناهج من عدة زوايا: معرفية، فلسفية، فكرية، أدبية...إلخ.

- حيرة الباحث وهو يقف أمام كم هائل من وجهات النظر الوافدة من الغرب خاصة ما ارتبط بالحداثة وما بعد الحداثة ومحاولته الخروج من سجن الاغتراب الفكري الذي ولجه مضطرا[2].

- تبعية الكثير من النقد العربي، ومنه الجزائري للنقد الغربي تبعية سلبية[3].

- من بين المشكلات التي يعاني منها النقد الأدبي:" غياب منهج نقدي محدد واضح، يتوافق عليه النقاد ليكون أداة وحيدة للتعامل مع النص الأدبي"[4].

- أزمة النقد الجزائري جزء من أزمة الثقافة عامة إذ ينطبق عليه ما ينطبق عليها، لذا نجده يتأرجح بين خطين متجاورين، خط الثقافة الإسلامية، وخط الثقافة الغربية، وفي خضم هذا التجاذب بين الطرفين ظهر تيار محافظ يدعو إلى العودة إلى التراث وتيار مجدد يدعو هو الآخر إلى القفز على كل ما له صلة بالتراث والتشبث بالحضارة الغربية والنقل عنها.

- تتفاوت اتجاهات النقد الأدبي في عملية تلقي المناهج والنظريات الغربية تطبيقا وتنظيرًا" اقترابًا انقيادًا استحياءً، متابعةً ولهاثًا، فإن هذه الاتجاهات تظل متأثرة تأثرًا يأخذ شكل الإنصات السلبي والتبني الجاهز"[5].

- أن آراء النقاد عندنا تبقى" مجرد صدى وترداد لتلك النغمات النقدية التي يقوم الأخر بعزفها على سيمفونية الآلة النقدية في حين يرددها النقد العربي، ويحاول أن يؤسس لها مناخًا ترتكز عليه وأنصارًا ينتصرون لفكرة الغير على حساب النقد والنص العربي الأصيل"[6].

- انقياد هؤلاء النقاد وراء المناهج الغربية وتغنيهم بها وبمبتكريها، وبالتالي، " الأمر الذي يظهر" الحداثية" و"التقدمية" ويخفي حقيقته التي هي التبعية، وتحقير الذات"[7].

- يقول "محمد الأمين بحري":" من تجليات أزمة النقد الأدبي،كما هي مطروحة في المشهد الجزائري، الروح الشللية التي تتحكم في قطاع واسع من المشتغلين على النقد، والكسل الذي يهين على البعض، وانسحاب البعض، وتوجه البعض إلى تناول التجارب، المشرقية خاصة الخليجية منها طمعا في العطايا، وانغلاق البعض على المناهج والنظريات بمعزل عن المتون، وتحلي البعض بروح التتفيه و التسفيه لكل ما هو جزائري، أو لكل ما هو صادر عن الأجيال الجديدة، وغرق البعض في بركة المجاملات"[8].

- ويرجع "عمر أزراج" أزمة النقد المعاصر إلى عوامل عدة في مقدمتها:" إن الوضع المأزوم في المشهد النقدي الأدبي العربي المعاصر يعود بالدرجة الأولى إلى عدة عوامل متبادلة التأثير في صدارتها عدم استيعاب وتدقيق وفهم وتجريب المناهج والنظريات النقدية في تراثنا النقدي الأدبي والفلسفي وعدم إحياءها، وتطوير آلياتها وركائزها المفهومية. ثالثا، النقل الساذج والمكرر إلى حد الابتذال للنظريات النقدية الأدبية الغربية والاكتفاء باستعراضها البهلواني دون القيام بتوطينها والإضافة إليها"[9].

- ويقول أيضًا في موضع آخر:" لا أحد يمكن أن ينكر وجود أزمة في حياتنا الثقافية والفكرية على نحو عام تتمثل بعض صور هذه الأزمة في ندرة محاولات بناء نظرية أدبية عربية حديثة متميزة ومتفردة ومؤسسة على الفكر الفلسفي وعلى النظريات المستجدة في المجالات العلمية، فالسائد عندنا في الغالب هو النقد الصحفي المتسرع الذي لا يتجاوز أطر النقد الانطباعي الذي يقوم به الصحفيون الذين ليسوا أصلا بالنقاد"[10].

- يرى "إبراهيم السعافين" :" أن أكثر الظواهر التي يعاني منها النقد العربي هي تبني نظريات ومناهج نقدية حديثة، حيث لم يستطع النقاد تكييفها لتناسب الإبداع العربي، وبدت عملية استنساخ من سياق مختلف، فلم يفلح النقاد بإقناع القارئ بقيمة ما يفعلون، واستحالت إلى ما يشبه الفهارس والقوالب والجداول التي لا تدل على تميز النص والكاتب، ولا تشير إلى خصوصية معينة"[11].

- كما يرى "عزالدين المخزومي" أن الصورة الحقيقية للنقد الجزائري المعاصر لا توجد في الكتب المطبوعة بقدر ما هي موجودة في الرسائل الجامعية، مع ملاحظة أن هذه الدراسات الأكاديمية بقيت حبيسة جدران الجامعة ورفوف مكتباتها ولم يخرج منها إلا القليل."[12].

- إعطاء الأولوية للتعريف بالترسانة النقدية الغربية دون مراعاة شرط التناسب مع طبيعة النص العربي عمومًا، والجزائري خصوصًا.

- ضعف مستوى النقد الأكاديمي المبثوث في ثنايا رسائل التخرج- الذي يعتمد النقول المترجمة عن الأعمال الغربية-، والمنجز من قبل طلبة غير مؤهلين ولا يملكون معرفة دقيقة ولا وعيا كافيا بالمناهج النقدية، بل وحتى هذا الأمر ينطبق على العديد من المشرفين وحتى النقاد، والكثير مما تم إنجازه عبارة عن نسخ مشوهة ولا طائل منها خاصة ما تعلق بالجانب التطبيقي.

- التفسيرات المختلفة والقراءات المتعددة التي تقدم من لدن النقاد حول نص واحد وتوظيف منهج واحد يجعل المتلقي يشك في مدى صلاحيته للتطبيق على النصوص العربية.

2. إشكاليات الأزمة النقدية الأدبية الجزائرية:

2.1. إشكالية المصطلح:

إن مشكلة المصطلح النقدي حدثت بسبب فوضى الترجمة وغيرها مما أوقع جمهور المتلقين في الخلل والاضطراب. ومما لا شك فيه أن واقع الخطاب النقدي العربي متأزم كونه خطاب ما يزال يتخبط في فوضى التعدد والتداخل المنهجي، ويكابد زحام المصطلحات البراقة وكثيرا ما تعالت الأصوات وكثر اللغط وتزايدت الدراسات لتشخيص هذه الظاهرة الخطيرة التي تشبه الفيروس الذي يحمل في أتونه مرض الطاعون[13].

هذا ويرى "عبد القادر الفاسي" أن:" أهم ما يتسم به وضع المصطلح هو طابعه العفوي، وهي عفوية لا تقترن بمبادئ منهجية دقيقة، ولا بالاكتراث بالأبعاد النظرية للمشكل المصطلحي، وقد قادت هذه العفوية إلى كثير من النتائج السلبية، وفي مقدمتها الاضطراب والفوضى في وضع المصطلحات، وعدم تناسق المقابلات المقترحة للمفردات الأجنبية"[14].

كما أن هذا " الاضطراب المصطلحي الذي يعد السمة الغالبة في البحوث النقدية صادر عن التسرع في تبني هذا التيار أو ذلك، وعن غياب رغبة حقيقية في تمثل وفهم جوهر السؤال"[15].

هذا ويذهب "وهب رومية" إلى أن:" الاضطراب في استخدام المصطلح النقدي آفة فاشية يعاني منها النقد العربي المعاصر معاناة قاسية"[16]. وأسباب ذلك معلومة لا تخفى على أحد، كما يرى"عبد العزيز حمودة" هو الآخر أننا:" نرتكب إثما لا يغتفر حينما ننقل المصطلح النقدي الغربي، وهو مصطلح فلسفي بالدرجة الأولى بكل عوالقه المعرفية إلى ثقافة مختلفة هي الثقافة العربية دون إدراك للاختلاف"[17]. فالناقد العربي قد يأتي بمقابل للمصطلح الأجنبي أكثر استغلاقًا وغموضًا، أو قد ينقله بمصطلحات عديدة، أو يأتي بمفاهيم عديدة لمصطلح واحد. ثم إن غياب" الماهية الواضحة لمفهوم المنهج في أذهان كثير من نقاد اليوم، وعدم اعتدادهم بجسامة هذا الإجراء، وخوضهم المطلق في مناهج تفتقر إلى كثير من مقومات المنهج، هو جزء كبير من الفوضى العارمة التي يتخبط الخطاب النقدي المعاصر في عشوائها"[18].

ومن بين أسباب:" التشوه في المصطلحات والتباين أن الذين يعملون على نقل المصطلحات تختلف مهماتهم وأهدافهم ونميز بين فريقين: الأول ويتكون من المتخصصين في المجال الذي يتم نقل مصطلحاته أي الدارسين وهم في الغالب ما يكونون على وعي ولو نسبي، بملابسات تشكل المصطلح والخلفيات الابستمولوجية الذين يكون عملهم معجميًا في الغالب"[19].

ولكن البقية الغالبة نجدها تواجه صعوبات جمة مبعثها الاضطراب المفاهيمي والاصطلاحي، وهو ما يجعل النقد العربي عامة والجزائري خاصة يعانيان من" الضبابية في الرؤية ومن الخلط في التوظيف"[20].

2.2. إشكالية المنهج:

إن إشكالية النقد في الجزائر ليست في واحدية المنهج أو تعدديته بل في غياب وعي صارم بماهية المنهج من جهة، وحدود التركيب والتكامل من جهة أخرى[21]. إذ إن الإشكال الأكبر يكمن في غياب وعي وفهم حقيقي بخلفيات هذه المناهج الفلسفية والفكرية والمعرفية، وحدود الاختلاف والتمايز بينها، وهذا ما يؤدي بالبعض إلى توظيف متعلقات منهج ضمن منهج آخر إما جهلا بها أو عمدًا.

بينما ترى "لطرش صليحة" أن مشكلة النقد الأدبي في الجزائر هي غياب منهج نقدي محدد، يتوافق عليه النقاد ليكون أداة وحيدة للتعامل مع النص الأدبي، لإعطاء فكرة صحيحة عن مستوى التجارب الأدبية لكل مبدع"[22]. إلا أن هذا الذي تذهب إليه الباحثة يبقى مطلباً صعب التحقيق ذلك أن لكل نص خصوصيته وبناءه وتركيبه ولا يستطيع أي منهج التعامل معه والإحاطة به، وبالتالي مثل هذا الرأي وإن كان يصلح للتطبيق على بعض النصوص إلا أنه لا يصلح لئن يكون رؤية تحقق الشمولية والعمق والدقة في قراءة وتحليل الخطابات الأدبية بأجناسها.

2.3 إشكالية الوعي:

إن مشكلة غياب الضبط المنهجي القائم" على الوعي النقدي الذي يتأصل ويتبلور بالذات، وهو أساس مقومات الشخصية المتشكلة من القيم الحضارية والفكرية والدينية للأمة" [23]. يؤدي إلى الوقوع في مطبات يمكن عدها في ذاتها مسببات الأزمة التي يتخبط بها النقد الجزائري، ذلك أن الوعي بحقيقة المنهج النقدي وحدوده وخلفياته من شأنه تجنيب الدارس الكثير من الإشكاليات التي هو في غنى عنها. خاصة وأن النقد في الجزائر تابع كلية مفهومًا ومصطلحًا وتنظيرًا وتطبيقًا للنقد الغربي، وبالتالي، ساهم ذلك في تعميق حجم الهوة وتصعيد وتيرة الأزمة التي يتخبط فيها هذا النقد بين نص عربي ومنهج غربي وقراءات منفصمة عن ذاتها.

2.4. إشكالية الترجمة:

تعد الترجمة واحدة من أهم القضايا التي يجب الوقوف عندها، ومحاولة إيجاد حل عاجل لها في سبيل السعي لحل أزمة النقل النقدي من الغرب إلى العربية، ونظرًا لأهميتها البالغة فقد أثيرت حولها العديد من النقاشات، وعقدت الندوات، والأيام الدراسية، والملتقيات، ولكن كل ذلك لم يفلح في حل إشكالياتها إلى حد الساعة.

والسؤال الذي يطرح نفسه بإلحاح سواء تعلق الأمر بالنقد أو بغيره هو"كيف نصل إلى ترجمة سليمة وجيدة بأقل تضحيات ممكنة؟ أو كيف نتفادى أو نتخطى عقبة تعذر الترجمة (intranslatability) أو استحالة الترجمة التي تطرحها النصوص الشعرية خاصة والأدبية عموما، أو حتى النصوص الدينية التي يتقاسم فيها الشكل والمحتوى نفس الأهمية"[24].

وهو سؤال هام وصميمي ويبقى بحاجة إلى إجابة حاسمة لحل مثل هذه الإشكالات التي يقع فيها الكثير من الباحثين، ولا يجدون منها مفرًا، خاصة إذا كانوا بصدد نصوص أو مصطلحات يتعذر عليهم التصرف معها بأي شكل كان، لنسمها إن شئنا معضلات في الترجمة، وبالتالي، وجب وبشكل ملح أن نسعى إلى العمل بشكل سريع ومكثف وجاد للخروج من هذه المطبات والسقطات التي تعرقل عمل المترجمين أو تشوهه.

وكمثال عن هذه الفوضى يرى "رشيد بن مالك" أن:" ترجمة المصطلح في الخطاب السيميائي المعاصر تتسم بالاضطراب الذي يحول دون بث وتلقي الرسالة العلمية ويؤدي في جميع الحالات إلى نسف الأسس التي ينبغي أن ينبني عليها التواصل العلمي"[25].

ثم إن " مشكلة المصطلح النقدي حدثت من الفوضى التي يعيشها التأليف والترجمة مما زادها خللا واضطرابا"[26]. فالمصطلح " الأجنبي قد ينقل بمصطلح عربي مبهم الحد والمفهوم، أو أن المفهوم الغربي الواحد قد ينقل بعشرات المصطلحات العربية المترادفة أمامه، أو أن المصطلح العربي قد يرد مقابلا لمفهومين غربيين أو أكثر في الوقت ذاته، أو أن الناقد العربي الواحد قد يصطنع مصطلحا فيه كثير من التصرف – زيادة أو انتقاصا- في مقابله الأجنبي..."[27].

هذا ويؤكد"إبراهيم رماني" على أن" عملية الترجمة الأدبية أصبحت على قدر كبير من الأهمية والخطورة، وتكاد توازي عملية التأليف الأدبي كوجه آخر من أوجه الإبداع"[28].

بينما يرى"عبد الله بوخلخال" أن" ضعف التنسيق هو العلامة المميزة بين هذه الجهات والمؤسسات العلمية والثقافية المختلفة، أضف إلى ذلك اختلاف مشارب الأفراد الذين يساهمون في وضع المصطلحات، وميل معظمهم إلى الفردية ومخالفة جهود الآخرين"[29].

2.5. إشكالية المفهوم:

توجد علاقة وثيقة بين المنهج والمفهوم والمصطلح فهذه المفردات تشكل رؤوس المثلث النقدي، لا نستطيع أن نفصل بينها، كما أن حضور أحدها يستدعي بالضرورة حضور البقية أثناء ممارسة العملية النقدية، فلابد للدارس أن يعي المنهج مصطلحا ومفهوما وخلفية، وإذا كانت إشكالية المفهوم حاضرة في أتون النقد الغربي وهو المنبت الأصلي الذي أخذ عنه النقاد العرب موادهم النقدية فما بالك بها عندنا، حيث ساهمت أعمال هؤلاء في تعميق وتوسيع حجم الأزمة إلى حد لا يمكن معه استيعابها بأي شكل وتحت أي ظرف إذا لم نقم بعملية مراجعة شاملة ودقيقة وعميقة.

فالباحث يقف أمام كم المفاهيم الهائلة التي تطلق حول مصطلح ما أو مصطلحات معينة، إذ إن الناقد الواحد قد يأتي بعدة مفاهيم لمصطلح واحد ولا ندري السبب وراء ذلك، ثم إن من بين الأسباب المؤدية إلى هذا الجدل المفاهيمي؛ تعدد توجهات هؤلاء النقاد وانتماءاتهم، وتعدد مشاربهم ومجالات اشتغالهم.

ولعل هذه الفوضى المفاهيمية أوقعت الكثيرين في حيرة كونهم لا يدرون أي المفاهيم يتبنون وأيها أقرب إلى جادة الصواب وأكثر تمثلا لحقيقة ورح المنهج قلبًا وقالبًا، وبالتالي، يساهم ذلك في تعميق الأزمة وتثبيتها.

3. إستراتيجيات تجاوُزِ أزمة النقد الجزائري:

سنحاول في هذا الجانب من الدراسة تقديم بعض الحلول المقترحة التي يمكن من خلالها تجاوز أزمة الخطاب النقدي الجزائري المعاصر.

يجب الابتعاد عن محاولة فرض المنهج على النص، وأنه يجب على الدارس أن يعلم أولا ما يريد من النص، ثم عليه معرفة بنية النص حتى يستطيع اقتراح المنهج الذي يراه قريبا من تحصيل بغيته، ثم عليه معرفة حدود وخلفيات كل المناهج التي يتعامل بها حتى يستطيع الوصول غلى قرار سليم ودقيق.

إن محاولة تطبيق مناهج غربية غريبة عن النص العربي، ثم الخروج بنتائج جزافية والادعاء أن النص لا يشمل سواها، أو أن هذا المنهج هو الأنسب، أو أن هذا النص لا يلائمه سوى المنهج الفلاني، فهذا نوع من الاستهتار، ولا أصدق دليل على أن المناهج الغربية لا تناسب النصوص العربية في كثير منها، هو أنها لا تصلح للتطبيق حتى في بيئتها التي أنتجت ضمنه، حيث إن أصحابها اضطروا إلى التخلي عنها، والارتحال من منهج إلى منهج أخر.

إن عملية الترجمة يجب أن يقوم بها أشخاص مشهود لهم بالخبرة المهنية والكفاءة والمعرفة الواسعة في كلا الثقافتين الناقل منها والمنقول عنها وكذا بخفايا وأسرار اللغتين، وأن يكون هؤلاء منضوون تحت مجمعات لغوية تهتم بهذا الشأن.

التطبيق الصارم للنتائج والتوصيات التي تخرج بها الفعاليات والملتقيات العلمية، وأن توحد الجهود تحت مضنة هيئة كبرى هي من يتولى رعاية الجهود التي تجمعها لغة وحدة ضمن جميع الدول العربية حتى يكون الاتفاق على كلمة واحدة.

الابتعاد عن الاسترجال ومحاولات تحقيق الشهرة والربح المادي على حساب الدقة العلمية والضمير المهني. فأغلب هؤلاء يرغبون في أن ينعتوا بأنهم مبتكرو المفهوم أو المصطلح الفلاني أو رواد المنهج أو النظرية الفلانية لينالوا الشرف دون أخذهم بعين الاعتبار ما هم بصدده، فيكتفون بالقشريات دون اللب وهذا بسبب استعجالهم لئلا يسبقوا من غيرهم.

ضرورة مراجعة كل ما تم طرحه من مصطلحات ومفاهيم واستبعاد كل ما هو بعيد عن الدقة، وهذا الجهد الجبار يجب أن تخصص له الموارد المادية والبشرية المؤهلة الموصى بها من قبل الجهات المختصة.

أن تقوم الهيئات الوزارية المعنية في كل دولة بالعمل على إصدار مناشير ومؤلفات موحدة تخص أي جديد، مع عمل كل الجامعات على احترام ما ورد فيه وتطبيقه حتى يتجنب الباحثون والطلبة مستقبلا فوضى المفاهيم والمصطلحات الغارقة فيها الساحتين الأدبية والنقدية العربية عامة والجزائرية خاصة.

محاولة العودة إلى التراث تدبرا ومدارسة للاستفادة مما يصلح أن يكون رؤية أو منهجًا نقديًا، مع محاولة الانفتاح الحذر والواعي على الآخر، والتثبت قبل نقل أي جزئية مهما بدت صغيرة مع ضرورة ربطها بسياقها التاريخي والمعرفي والفلسفي والفكري والدلالي، ومدى ملائمتها للتطبيق على النصوص العربية.

القيام بعملية ترشيح وتصفية للمناهج التي يرى النقاد المشهود لهم بالكفاءة والخبرة أنها لم تعد صالحة للعمل في كليتها أو جزئيتها، ومحاولة الخروج برؤية تقريبية أو ربما ابتكار منهج يستطع أن يراعي في عمله الجانبين: الشكلي (المكونات والسمات)، والدلالي (البنية العميقة أو بمعنى آخر الدلالة الخفية والظاهرة) مع ربط ذلك بالسياق الخارجي، وبالتالي، يكون منهجًا ثلاثي الأبعاد تمنح فيه الآلية للمتلقي أو دارس النص.

الكف عن تقليد الغرب في كل شيء إبداعًا ونقدًا،

والالتفات إلى الثقافة العربية ومحاولة إنتاج نصوص تعكس هذه الثقافة وهذا الفكر قلبا وقالبا. لأن العقل العربي المسلم يختلف في كليته عن العقل الغربي الملحد، مع تجاوز الدعاوي المضللة من بعض النقاد المنسلخين عن هويتهم، والتي مفادها الأخذ بفكر الناقد الغربي دون الالتفات إلى حقيقة فكره ومعتقده، مع أن الفكر لا يصدر إلا عن معتقد، وهذا بطبيعة الحال تغليط وتبليس.

الخاتمة: يمكننا القول ختاما: إن الخطاب النقدي الجزائري يمر بأزمة خانقة هي امتداد لأزمة النقد العربي، وهي تهدد بنسف وجوده، وهي نتيجة لعوامل وظروف ومسببات مختلفة، وما يجب التأكيد عليه كحلول للمسير بالأزمة للانفراج هو: كفانا لهاثا وراء كل ما ينتجه الغرب إبداعًا ونقدًا دون تثبت وتريث، نحن لا ندعو إلى القطيعة مع الآخر، ولكن نقول: إن كان لابد أن نأخذ، فيجب أن نعلم ما نأخذ وكيف نأخذ، لا نكتفي بالبنية السطحية(المفاهيم والمصطلحات والآليات..) ونترك الخلفيات (الفلسفية والفكرية والمعرفية)التي قامت عليها هذه المناهج، ثم لابد من تكييف ما نأخذ مع ما عندنا حتى نخرج ببنية متماسكة تصلح لتشكل جهزا مصطلحيا ومفاهيميا وآلياتيا نعتمده في مقاربة النصوص.

وأخيرًا أشدد على ضرورة التركيز على ما عندنا بدل السعي وراء ما عند الآخرين والذي في غالبه لا يناسبهم هم فما بالنا نحن، لأن العقلية الغربية مادية متقلبة ومزاجية بطبعها، مع ضرورة الأخذ بعين الاعتبار كما قلنا سابقا بنتائج وتوصيات الأيام الدراسية والملتقيات وغيرها من التظاهرات التي تقام لتشخيص هذه الظاهرة ومحاولة علاجها، وإلا تبقى مثل هذه الدعاوي مجرد شعارات جوفاء لا طائل منها ولا نفع، وبالتالي، تبقى الأزمة بل يزيد إيقاعها إلى درجة لا يمكن معها السيطرة عليها، لأنها مسألة خطيرة بالفعل وهي تهدد بنسف الهوية العربية وكل القيم والمكتسبات في كل المجالات، وهذا هدف الغرب بالأساس.

هوامش البحث:

[1] - ينظر: وسواس نجاة، الخطاب النقدي الجزائري المعاصر: سلطة النموذج الغربي وأزمة الممارسة، الملتقى الدولي عبد الحميد بن هدوقة للرواية، 2016م، fille://h:/ rreetert/htm

[2] - أحمد بوخطة، الخلفية الفلسفية والفنية لمصطلح الشكلية، أعمال الملتقى الدولي الأول بعنوان:" واقع البحث النقدي في الوطن العربي"، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، يومي: 09-10 مارس 2011م ص24.

[3] - ينظر: أحمد بوخطة، نفسه، ص 24-25.

[4]- إسماعيل غموقات، إشكالية النقد الجزائري المعاصر، جريدة الخبر، نشر يوم: 07-12-2012م، جزايرس: fille://h:/rreetert. Htm.

[5] - صالح هويدي، النقد الأدبي الحديث قضاياه ومناهجه، منشورات جامعة السابع من أفريل، مصر، ط 1، 2004م، ص25.

[6] - عامر رضا، إشكاليات المناهج النقدية المعاصرة-المنهج السيميائي أنموذجا- 7 نوفمبر 2014م، fille://h:/rreetert. Htm.

[7]- محمود الربيعي، في النقد الأدبي "وما إليه"، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2003م، http:// www. Awu- dam. Org/…/03/ stud…/5-h- j/ ind- book 03- sd 001- htm.

[8] - محمد الأمين بحري، مقصلة النقد الجريئة في الجزائر، 23 يناير 2019م، صوت altra على الرابط: fille://h:/rreetert. Htm. على الساعة: 8:45.

[9] - عمر أزراج، أزمة في النقد الأدبي، صحيفة العرب، الخميس 2014/04/17م، fille://h:/rreetert. Htm. تاريخ الإطلاع: 2019/09/25م، الساعة 12:50.

[10] - عمر أزراج، المقال نفسه.

[11] - عمر أبو الهيجا، منتدون يعاينون أزمة النقد في الوطن العربي وسبل تجاوزها، جريدة الدستور، عمان، الاثنين 30 أيار/ مايو 2011م، fille://h:/rreetert. Htm. تاريخ الإطلاع:2019/09/25م، الساعة: 13:00.

[12] - سكينة شلواح، أسئلة ورهانات الأدب الجزائري المعاصر، الجزيرة، fille://h:/rreetert. Htm. يوم: 2019/09/20م، الساعة: 14:30.

[13] - ينظر: يوسف وغليسي، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الحديث، الدار العربية للعلوم ناشرون، الجزائر، ط1، 2008م، ص 53.

[14] - عبد القادر الفاسي الفهري، اللسانيات واللغة العربية، ص 394. نقلا عن: يوسف وغليسي، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، ص53.

[15] - رشيد بن مالك، مقدمة في السيميائية السردية، دار القصبة، د ط، 2000م، ص 71.

[16] - وهب رومية، شعرنا القديم والنقد الجديد، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، مارس 1996م، ص40.

[17] - عبد العزيز حمودة، المرايا المقعرة، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، أغسطس 2001م، ص09.

[18] - سايحي أحمد، النقد النسقي الجزائري بين الأصول والتجليات،رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه في الأدب العربي، تخصص: نقد أدبي حديث ومعاصر، إشراف: ا/د: عمارة بوجمعة، جامعة الجيلالي اليابس، كلية الآداب واللغات والفنون، سيدي بلعباس، 2017م-2018م، ص 185.

[19] - بوشعيب الساوري، إشكالية الانتقال من المفهوم إلى المصطلح، الملتقى الدولي الأول في المصطلح النقدي، يومي: 09-10، ص 2. على الرابط: . www.google.com

[20] - ميجان الرويلي وسعد البازعي، دليل الناقد الأدبي إضاءة لأكثر من سبعين تيارا ومصطلحا نقديا معاصرا، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط 3، 2002م، ص 15.

[21] - سايحي أحمد، النقد النسقي الجزائري بين الأصول والتجليات، ص 190.

[22] - لطرش صليحة، تحولات الفكر النقدي العربي المعاصر، النقد الأدبي الجزائري (1970-2012م) أنموذجا، أطروحة مقدمة لنيل دكتوراه علوم، تخصص: النقد الأدبي، إشراف: ا/د: إبراهيم صدقة، جامعة محمد لمين دباغين، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة والأدب العربي، 2016م-2017م، ص 504.

[23] - شلواح سكينة، أسئلة الأدب الجزائري المعاصر، المقال السابق.

[24] - إنعام بيوض، الترجمة الأدبية مشاكل وحلول، دار الفارابي، بيروت، ط 1. 2003م، ص 39-40.

[25] - رشيد بن مالك، مقدمة في السيميائية السردية، دار القصبة، 2000م، ص 71.

[26] - أحمد سايحي، النقد النسقي الجزائري بين الأصول والتجليات، ص 193.

[27] - يوسف وغليسي، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الحديث، ص 55. بتصرف.

[28] - إبراهيم، رماني، أوراق في النقد الأدبي، دار الشهاب للطباعة والنشر، باتنة، 1985م، ص107.

[29] - عبد الله بوخلخال، مصطلح السيميائية في البحث اللساني العربي الحديث، ضمن السيميائية والنص الأدبي، أعمال ملتقى معهد اللغة العربية وآدابها، منشورات جامعة عنابة، 1995م، ص74.